برق أسود

لم تصدق عينيها، فقد أذهلتها المفاجأة، فتسمّرت قدماها حيث تقف، بينما كان يدنو منها في خطى ثابتة، وعيناه لا يبرحانها

إزيّك يا ولاء؟

تلعثمت الكلمات في حلقها، وتداعت الأحرف من بين شفتيها صدى محسن!!

ابتسم ومد يده مصافحًا، فامتزجت المشاعر لتبعث في جسدها دفئًا، أذاب في لحظات ثلج سنينها، تسيّد الصمت برهةً، أخرج من جيبه بطاقة تعريف، تلقفتها مسحورةً، همس:

الليلة...انتظريني سأهاتفك

استأذن وانصرف، لم تشعر بإبنتها وهى تدنو منها متساءلةً:

من هذا يا ماما؟

هو...إنه هو !

صاحت مندهشة: محسن؟

أومأت برأسها إيجابًا، ربتت على كتفها في حنو، وتأبطت ذراعها الأيسر ؛ وسارتا معًا نحو " الكاشيير "، تدفع بيدها اليمنى عربة المشتريات، ووحيدها جالسًا في قاعها يعبث بمحتوياتها.

رنين الهاتف يصعقها: تلاتين سنة وأنت كما أنت، لم تُغيّر السنوات فيك شيئًا ضحك: وأنتِ...أنتِ الآن أجمل وأروع يا ولاء....أخبارك إيه؟ وزوجك؟ وأولادك؟

تنهدت: محسن زوجي الله يرحمه، توفى من إحدى عشر سنة، وإبنتي الوحيدة فيفي، زوجها يعمل في الخليج، وحفيدي هو من رأيته.....
عاد بهما الحديث أربعين سنة، وأعاد على مسامعهما ذكرياتٍ، ظنت لفترة أنها تلاشت، فأيقظها صوته الساحر من سباتها الطويل.
وضعت الهاتف بجوارها، واستلقت على ظهرها تحلم بلقاء الغد، ماذا سترتديه؟ أرادها أن تكون عروسًا في ليلة زفافها.
هدوءٌ تام يسود الغرفة، حفيدها نائم، ابنتها خرجت منذ ساعة متوجهةً إلى عملها، تتزين بما استعارته من مساحيق إبنتها، جرس الباب يدق لمرةٍ واحدة،
يعقبه رنتان متتاليتان...إنه هو، نهضت مرتعشةً أطرافها، تندفع صوب الباب، يخترق أذنيها نداء حفيدها " ماما...ماما "
تتجمد مكانها، عيناها تعلق في حدقتي حفيدها، وقلبها يدفعها صوب الباب، تخلع روبها الحريري، تستلقي بجواره، تمسح بيدٍ حانيةٍ على جبينه الصغير، والدموع تطفر من مآقيها، تحتضنه هامسةً:
أنا جنبك يا محسن، ماما معاك، لا تخاف لن أتركك لحظة

* * *